الظواهر الصوتية في قراءة عبد الله بن مسعود

الأستاذ: لحلوحي صالح
كلية الاداب و العلوم الانسانية
جامعة محمد خيضر-بسكرة (الجزائر)

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهم الظواهر الصوتية الخاصة بالقراءة الشاذة (عبد الله بن مسعود) وأقصد بها الإدغام والإظهار والإمالة إضافة إلى الهمز وما يصاحبه من عمليات كالتحقيق والحذف ثم النظر في القلب والإبدال والبحث في الحركات وفي حروف المد وفي طريقة نطق ابن مسعود لهذه الأصوات والمقارنة بين قراءة الجمهور وهذه القراءة الشاذة وإعطاء القيمة اللغوية لها.

Résume:

Le but de cet exposé c'est l'étude d'une manière détaillée de la lecture de Abdallah Ibn Messaoud , il traite d'une part l'orientation langagière (sur le niveau acoustique) : inflexion, contraction germinative et accon - tuation puis lad opération qui le suivent : l'effacement elipse, augmentation ...etc.L'objectif de cette recherche est la présentation de la valeur langagière de cette lecture spécifique .

ésion textuelle

يعتبر موضوع القراءات القرآنية من المواضيع الخصبة في الدراسات القرآنية واللغوية ومن أهم ما اعتنى به العلماء تحقيقا وجمعا وتوجيها؛ السبب الذي أدى إلى إثارة الجدل بين علماء الفقه وعلماء اللغة وولد بالتالي مجموعة من التساؤلات والاستفسارات المختلفة والمتعلقة بالقراءات القرآنية؛

- كيف نشأت هذه القراءات ؟
- ما صلتها باللهجات العربية ؟
- ما موقف العلماء منها ؟
- متى تكون القراءة مقبولة ؟ومتى تكون شاذة؟

والقراءات السبع هي المتفق عليها إجماعا، وقد جمعها ابن مجاهد في كتاب لاختياره الخاص، وأورد ابن الجزري في النشر في القراءات العشر مقياس القراءة الصحيحة :(كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها) وهذه الأركان الثلاثة هي ضوابط للقراءة الصحيحة التي لايجوز ردها ولا إنكارها ومتى اختل ركن من هذه الأركان أُطلق عليها قراءة ضعيفة أو شاذة أو باطلة وحكم الشرع فيها البطلان وعدم جواز التعبد بها.وهذا ما حدث لقراءة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي-بالرغم من مكانته القريبة من رسول اللهﷺ -.

واستعملت الإحصاء لضبط مواضع التفرد التي خالف فيها ابن مسعود بقية القراء المعروفين، في الجوانب الصوتية فوجدت أن معظم قراءاته لا تخرج من دائرة :الإظهار والإدغام، وهذا تسهيلا أو تخفيفا لبعض أعضاء النطق التي تتميز بها قبيلة هذيل الحجازية- قبيلة ابن مسعود- عن بقية القبائل العربية الأخرى، إضافة إلى الهمز وما يصاحبه من عمليات كالتحقيق،

والتسهيل، والحذف،ثم النظر في القلب والإبدال، فالبحث في الحركات وفي حروف المد الثلاث في أصوات اللين؛ قصيرة وطويلة وفي طريقة نطق عبد الله بن مسعود لهذه الأصوات و ميلهم إلى أصوات معينة .

مظاهر التفرد الصوتي:

أ- الإدغام والإظهار: اهتم علماء القراءات* القرآنية بظاهرتي الإظهار والإدغام اهتماما كبيرا، ولا يمكنني أن أستعرض في هذا المقام هذا الاهتمام وسأكتفي بذكر أهم القراءات التي وافقت الإظهار أو وافقت الإدغام، مستعرضا سبب ورودها مفككة أو مدغمة.

وتتفق دراسات اللغويين المحدثين في اللهجات على أن الإدغام لهجة تميم وما جاورها من قبائل وسط الجزيرة وشرقها، كتغلب وطيء، وبكر بن وائل وعبد القيس، وهي قبائل بدوية تجنح نحو السرعة في نطق الكلمات ومزج بعضها ببعض دون إعطاء الحرف الكم الصوتي المطلوب من النطق به أوتجويده، في حين تميل القبائل الحجازية من مثل قريش، وثقيف وهوازن، والأوس والخزرج وكنانة وسعد، نحو الإظهار والإبانة، وتحسين النطق بتحقيق كل حرف وإعطائه حقه الصوتي.[1]

والهذليون- وابن مسعود منهم- يعيشون في بادية الحجاز يجمعون بعض خصائص البدو في وسط الجزيرة وبعض خصائص الحضر من الحجازيين،وإن كانوا أقرب ميلا إلى الإظهار في المضاعف،لأن الإظهار من خواص لهجة الحجاز،ويؤيد ذلك ما ورد من شواهد في الكثير من أشعارهم،[2]ومن ذلك قول أبي ذؤيب الهذلي:

فإن أعتذر منها فإني مكذّب وإن تعتذر يردد عليها اعتذارها[3].

وقول أبي كبير في تأبط شرًا:

حملت به في ليلة مزءودة كرها وعقد نطاقهـا لم يُحلل[4]

ويمكن القول بأن ظروف الوزن هي التي دفعت شعراءهم إلى الإظهار، ولكن استفاضة ذلك عندهم تدفع احتمال وجود الضرورة فيه، فلم يبق إلا أنهم فعلوا ذلك في حال الاختيار، لأن الإظهار في مثل هذا يلائم البيئة الحجازية، فلم يخرجوا عن أصلهم الحجازي الذي يميل إلى الإظهار[5].

ومما يؤيد ميل ابن مسعود إلى الإظهار القراءات الآتية:

قال تعالى:﴿ **ومَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا** ﴾ [6] قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر:تَطَوَّعَ فعلا ماضيا في قوله:﴿**فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيرًا فَهُوَ خَيرٌ لَهُ**﴾[7] فيحتمل أن يكون بمعنى الذي، ويحتمل أن تكون شرطية وقرأ حمزة والكسائي:﴿يَطَّوَّعْ﴾ مضارعا مجزوما بـــ"من" الشرطية، ورد ليس في الأول منهما وانتصاب"خيرًا" على المفعول بعد إسقاط حرف الجر أي:بخير، وقرأ ابن مسعود:(يتطوع بخير) ويطوع أصله يتطوع، كقراءة عبد الله[8].

ومما ورد فك الإدغام في قراءة ابن مسعود قوله تعالى:﴿ **ولا تقربوهن حَتَّى يَطْهُرن**﴾[9]، حيث قرأها أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف:﴿ يَطَّهَّرْنَ﴾ بفتح الطاء والهاء مشددتين، مضارع تطهر بمعنى:اغتسل، وقرأ الجمهور بسكون الطاء وضم الهاء مخففة، مضارع طهرت المرأة بمعنى شفيت من الحيض واغتسلت والأصل في قراءة ﴿ يَطْهُرْنَ﴾ أو﴿ يَطَّهَّرْنَ﴾ يتطهرن، وهي قراءة عبد الله بن مسعود، وهي كذلك في مصحفه وفي مصحف أبي[10].

وكذلك في قوله تعالى:﴿ لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَه بِوَلَدِه﴾ [11].
قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبان عن عاصم:﴿ لاَ تُضَارُّ﴾ برفع الراء مشددة، لأنه مضارع لم يدخل عليه ناصب أو جازم، وبالتالي الأداة" لا- هنا- نافية وهذه القراءة مناسبة لما قبلها من قوله تعالى:﴿ لاَتُكَلَّفُ نَفسٌ إِلاَّ وُسعَهَا﴾. لاشتراك الجملتين في الرفع بمعنى: أن جملة (لاَ تُضَارُّ وَالِدَةٌ) معطوفة على جملة خبرية على مثلها من حيث اللفظ، وإن كان المعنى مختلفا، وكذا أن الجملة الأولى خبرية لفظا ومعنى، وهذه الجملة خبرية لفظا وطلبية في المعنى، حيث اعتبرت "لا" ناهية. وقرأ باقي السبعة لاَ تُضارَّ بفتح الرَّاء جعلوه نهيا؛ فسكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للإدغام، فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بفتح لموافقته الألف التي قبل الراء لتجانس الألف والفتحة.وروي عن الحسن أنه قرأها براءين " تُضَارَرْ " بفك الإدغام على أن " لا " ناهية و"تُضَارَرْ " مجزوم بها، وفك الإدغام على الأصل من المضارة، وهي قراءة عبد الله بن مسعود كذلك [12] .

وقرأ ابن مسعود قوله تعالى:﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيرٌ لَكُم﴾ [13] ،﴿ تتصدقوا﴾ بتاءين وكذا هي في مصحفه، وقراءة الجمهور:﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ بإدغام التاء في الصاد، وقرأ عاصم.(تصدقوا) بحذف التاء والأصل في القراءة (تتصدقوا) والإدغام تخفيف والحذف أكثر تخفيفا[14].

ومما ورد عنه الإظهار أيضا فيه قوله تعالى:﴿ أَنَّ الله يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَ﴾ [15]؛ قرأ حمزة والكسائي. :(يبشرك) .في الموضعين في قصة زكريا وقصة مريم وفي الإسراء، وفي الكهف وفي الشورى من "بشر" مخففا وافقهما ابن كثير وأبو عمرو في سورة الشورى ، وقرأ مجاهد:(أَنَّ الله يُبْشِّرُكَ) بضم الياء

وسكون الباء وكسر الشين خفيفة، أما عبد الله بن مسعود فقد قرأها: (يَبْشُرُكَ) من أبشر القرآن بالتخفيف وهو بذلك يخالف جمهور القراء الذين قرءوا بالتشديد من بشر المضعف العين[16].

أما في قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ غَدَوْتَ مِن أَهْلِكَ تُبَوِّئُ المؤمنينَ مَقعِدَ لِلقِتَالِ**﴾[17] قرأها ابن مسعود:﴿ تُبَوِّئُ المؤمنينَ مَقاعِدَ لِلقِتَالِ﴾ بمعنى وتهيئ لهم، وقد وردت في البحر المحيط قراءة عبد الله: "تُبَوِئُ من أَبوَأَ" وهو من باب تعدية الفعل بالهمز وأن جمهور القراء عدَّاه بالتضعيف، كما قرأ أيضا للمؤمنين بلام الجر على معنى ترتب وتهيئ[18] .

ومن مظاهر فك الإدغام قول الله تعالى:﴿ **وَاتقُوا اللهَ الذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ والأَرحَامَ**﴾ [19] أي تتساءلون به فأدغمت التاء في السين وقرأ: تَسَّاءَلُونَ بطرح التاء الثانية، أي: يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم، وهي قراءة عاصم وحمزة الكسائي ووافقهم الحسن والأعمش، وهؤلاء يميلون إلى التخفيف، أما ابن مسعود فقد قرأ: ﴿تَسْأَلُونَ بِهِ وَبِالأَرْحَامِ.﴾ بتسكين السين وفتح الهمزة وبالتالي فهو يخالف جمهور القراء أيضا [20].

أما في قوله تعالى:﴿ **وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا** ﴾[21] قرأ جمهور القراء:(يَصَّدَّقُوا) وأصله يتصدقوا فأدغمت التاء في الصاد، أما عبد الله فقد قرأ يتصدقوا وتتصدقوا بالياء والتاء[22].

ومما قرأ أيضا بالإظهار قوله تعالى:﴿ **ومن يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ [23]، قرأ عبد الله:(يتصعد) على الأصل ويصاعد وأصله يتصاعد تخفيفا وإظهارا[24].

وفي قوله تعالى:﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ [25] قرأ جمهور القراء بتشديد الدال وألف بعدها وأصلها (تداركوا) فأبدلت التاء دالا وأسكنت ثم أدغمت في الدال فاجتلبت همزة الوصل ليصح النطق بالساكن، وقرأها ابن مسعود والأعمش:(تَدَرَاكُوا) على الأصل أي: أدرك بعضهم بعضا.[26]

وقوله تعالى:﴿ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [27]ومعنى صواف: قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن[28]، وقرأ ابن مسعود وابن عمرو وابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والكلبي والأعمش:(صَوَافِنَ) بالنون، من صفون الفرس أي أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف من سنبلة، وقرئ شاذا:(صوافي) أي: خوالص لله تعالى[29].

وقوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[30] قرأ حمزة وخلف:(أَن يَذْكُرَ) بسكون الذال وضم الكاف تخفيفا، أما عبد الله وأصحابه حمزة فقد قرءوا:(لِمن أراد أن يذكر) بالتخفيف[31].

أما في قوله تعالى:﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [32] قرأ الجمهور:(بَلِ ادَّارَكَ) الذي أصله "تَدَارَكَ" ثم آثر إدغام التاء في الدال لأنها أختها في المخرج، ثم سكنت فاجتلبت همزة الوصل، أما قراءة عبد الله في رواية وابن عباس في رواية أخرى:(بل آدرك) همزة بعد همزة الاستفهام وأصله أأدرك؟ فقلب الثانية ألفا تخفيفا كراهة الجمع بين همزتين ، وقرأ ابن مسعود في رواية أخرى: بل أأدرك؟ بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة افعل[33].

وفي قوله تعالى:﴿ **فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [34]. قرأ الجمهور:(فأصَّدَّقَ) بإدغام التاء في الصاد ونصبه على جواز الرغبة، أما أُبي وعبد الله وابن جبير فقد قرءوا: (فأتصدق) بإظهار التاء على الأصل [35].

وقوله تعالى:﴿ **فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى**﴾ [36] قرأ الجمهور:(تَلظَّى)، قال الفراء أنه وجدها في مصحف عبد الله " تتلظى " بتاءين[37] .

هذا ما وجدته من إظهار في قراءة ابن مسعود.كما روي عنه الإدغام في مواضع متعددة ، سأذكرها وفق تسلسل السور ذاكرا تخريجات ابن مسعود القرآنية مستدلا عليها بما أيقنت من أدلة وبراهين في هذا الجانب وهذا المستوى.

ففي قوله تعالى:﴿ **إِذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**﴾ [38] نجد أن قراءة الجمهور :(إذكروا) أما ابن مسعود فقد تفرد لوحده بقراءة فيها إدغام فجاءت قراءته:(إذَّكروا) وذلك بإدغام الذال في الدال.[39]

وفي قوله تعالى:﴿ **وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ**﴾ [40] قرأ الجمهور به أمرا من ذكر، وأصله: "واذتكروا" ثم أبدل من التاء دال، ثم أدغم الذال في الدال إذا أكثر الإدغام، يستحيل فيه الأول إلى الثاني، ويجوز في هذا أن يستحيل الثاني إلى الأول، ويدغم فيه الأول فيقال: "اذَّكَرَ "، ويجوز الإظهار فتقول:" اذْتَكَرَ أما ابن مسعود فقد قرأ:(تذكروا)على أنه مضارع انجزم على جواب الأمر. وقد ذكر الزمخشري(أنه قرئ: وتذكروا أمراً من التذكر، ولا يبعد عندي أن تكون هذه القراءة هي قراءة ابن مسعود).[41]

ونجد إدغام التاء في الشين في قوله تعالى:﴿ **إِنْ الْبَقَرَ تَشَّابَهُ عَلَيْنَا**﴾ [42] قرأ بن مسعود: يَشَّابَهُ بالياء وتشديد الشين جعله مضارعا من تفاعل، ولكنه أدغم التاء في الشين، وهي بمعنى تَتَشَابَهُ[43]

وفي قوله تعالى:﴿ **وَظَنُّوا أَنهم قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا**﴾ [44]. قرأها الكوفيون بالتخفيف، وقد حكيت عن عبد الله :"كُذَّبُوا " بتخفيف الذال[45].

وفي قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُون** ﴾ [46]. نجد أن ابن مسعود اعتمد في قراءته على الإدغام، فقرأ:(يَسَّاءَلُونَ) بتشديد السين، حيث أدغمت التاء في السين وأن أصله "يَتَسَاءَلُونَ [47].

وفي قوله تعالى:﴿ **سُورَةُ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا** ﴾ [48]. قرأها الجمهور:(فَرَضْنَاهَا) بتخفيف الراء أي: فرضناها أحكاماً، وجعلناها واجبة متطوعًا بها، أما عبد الله وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وابن كثير فقرءوا بتشديد الراء إما للمبالغة في الإيجاب، وإما لأن فيها فرائض شتى، أو لكثرة المفروض عليهم [49].

وفي قوله تعالى:﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِروا بما أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قالوا سحران تَظَاهَرَا** ﴾ [50] جاء في قراءة الجمهور:(تَظَاهَرَا) فعلا ماضيا على وزن على تفاعل، وقرأ طلحة والأعمش: "اظَّاهَرَا" بهمزة الوصل وشد الظاء، وكذا هي في مصحف عبد الله وأصله: "تَظَاهَرَا " فأدغم التاء في الظاء فاجتلبت همزة الوصل، لأجل سكون التاء المدغمة[51].

وفي قوله تعالى:﴿ **والصَافَّاتِ صَفًّا فَالزَاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا** ﴾ [52]. قرأ ابن مسعود بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال، لأن هذه الحروف أقوى

من التاء، لأن التاء حرف مهموس، وهذه الحروف مجهورة، والصاد والطاء قويتان بالإطباق الذي فيهما والاستعلاء[53].

وفي قوله تعالى:﴿ **فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا** ﴾ [54] قرأ جمهور القراء:(فوسطن) بالتخفيف، وقرئ بالتشديد للتعدية، ولو قرئت " فَوَسَّطْنَ " كان صواباً، لأن العرب تقول: وَسَطْت الشيء ووسّطته وتَوَسطتهُ بمعنى واحد[55].

ومن خلال الاستقراء السابق في مجال الإظهار والإدغام في قراءة ابن مسعود، نجد أن الإظهار هو من الكثرة الواردة إذا ما قورن بالإدغام، إذ هذا الأخير مقصور على إدغام التاء في بعض الحروف التالية لها، بينما الإظهار لا يقتصر فقط على التاء وحدها، بل يتعداها إلى غيرها، كما رأينا في القراءات القرآنية.

الإمالة : الإمالة ظاهرة صوتية معروفة في القراءات القرآنية خاصة، وسأكتفي هنا بذكر أهم المحطات التي استخدم فيها ابن مسعود الإمالة خاصة وأن هذيلا لا تميل ولا يعني هذا أننا لا نجد الإمالة في لهجة هذيل، بل إن بعض الروايات التي جاءت عن النبي- ﷺ- كان قد أمال في بعض كلامه، فلما سُئل: أتميل؟ والإمالة ليست لغة قريش، أجاب بأنها لغة الأخوال في بني سعد[56].وكما هو معروف فإن الرسول ﷺ نشأ في بادية بني سعد وجيرانهم من هذيل.

إضافة إلى ما ذكرت آنفا، فإن معظم قراء الكوفة وابن مسعود منهم انتشرت الإمالة بينهم،(**فعاصم** وهو من قُراء الكوفة كانت قراءته تشتهر بالإمالة في رواية أبي بكر بن عياش، ونقل في رواية حفص وعاصم يخبرنا أن القراءة التي أقرأها لحفص هي قراءته على أبي عبد الرحمن السلمي عن

علي وأن الرواية التي أقرأها أبا بكر بن عياش هي القراءة التي أقرأها على زر بن حبيش عن ابن مسعود، ومن هنا يمكنني القول بأن الإمالة التي عند عاصم وتلميذه ابن عياش مردها إلى عبد الله بن مسعود)[57].كما اشتهر حمزة والكسائي بالإمالة، وإلى ابن مسعود تنتهي قراءتهما فالكسائي من تلاميذ حمزة، وحمزة عرض على الأعمش والأعمش يجود حرف بن مسعود وإليه تنتهي قراءته[58].

ففي قوله تعالى:﴿ **وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ**﴾ [59].اختلف القراء في: وَوَصَّى بِهَا .فنافع وابن عامر، وكذا أبو جعفر، قرؤوها بهمزة مفتوحة بين الواوين وإسكان الثانية وتخفيف الصاد، وأمالها حمزة والكسائي، وخلف[60].

وفي قوله تعالى:﴿ **طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْذِكْرَ لِتَشْقَى**﴾ [61].أمال الطاء والهاء من"طه " أبو بكر حمزة، الكسائي،خلف وأبو عمرو[62].

وفي قوله تعالى:﴿ **وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وجُنُودَهُمَا**﴾ [63]. قرأ الجمهور:وَنُرِيَ .بالنون ونصب فرعونَ وهامانَ وجنودهماَ، و قرأ كل من حمزة والكسائي وخلف بياء مفتوحة وراء مفتوحة ممالة ورفع الأسماء الثلاثة[64].

ومما يمكن ملاحظته في باب الإمالة في قراءات ابن مسعود أنها إمالات لتلاميذه ، وأن الإمالة هي إمالة الفتح نحو الكسر أو هو الفتحة تشوبها الكسرة.

أصوات اللين:والمقصود بأصوات اللين الحركات الثلاث(الصوائت القصيرة) من فتح وكسر وضم، إضافة إلى حركات المد الثلاث:(الصوائت الطويلة)ألف وياء وواو المد. وأصوات اللين من الظواهر الصوتية التي تميز

مختلف اللغات وحتى في اللغة الواحدة وتظهر جليا هذه الظواهر الصوتية في قراءة ابن مسعود.

وكما هو معروف فالفتح الخالص الذي لا تشوبه الإمالة هو أخف الأصوات في النطق، فهو الحركة المستحبة عند العرب، كما أنها أخف من الضمة والكسرة، وأكثر اقتصادا منها في الجهد العضلي، ولهذا فالفتح من مميزات القبائل الحجازية بعامة والكسر خاص بالقبائل البدوية التي توغل في بداوتها، لقربها من الحضر وهذا عكس الضم الذي تتسم به القبائل الموغلة في البداوة[65].

وقد تجمع الحركات الثلاثة في لغة واحدة، وهذا ما ذهب إليه أبو حيان في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[66]؛ فهو يقول:(إن الغين في غلظة، تقرأ بالحركات الثلاث، والفتح فيها لهجة الحجازيين والكسر لهجة بني أسد الذين يجاورونهم في الموطن والضم لهجة التميميين)[67].وتعتبر لهجة هذيل شيئا وسطا بين لهجات أخواتها القريبات من القبائل الحجازية، ولا سيما تلك التي أخذت بحظ من الحضارة والاستقرار كقريش ولهجات تلك القبائل من جاراتها الأخريات الموغلة في البداوة فليس إذن من البدع أن نجد الضم يحتل مكان الفتح في بعض ألفاظها،فيروي أبو عمرو أن هذيلا تقول:"المُنا" بالضم تريد" المنايا" كما أن هذيلا تقول: " النُجُد "بضمتين وهي تريد نَجدا[68].

ومن أمثلة إحلال الضم مكان الفتح ما جاء في قوله تعالى:﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ ﴾[69] فقد قرأها أصحاب عبد الله و تلاميذه بضم القاف لا بفتحها، وهما لغتان كالضعف والضعف، ومعناه الجرح وقيل: المفتوح الجرح والمضموم ألمه[70]وكما جاء في قراءة الكسائي ويعقوب، وهما

كوفيان:﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[71] وذلك بضم العين في جميع القرآن[72].

ومما ورد في لغة الضم مكان الفتح في قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[73]. قرأ ابن عباس وابن كثير وعاصم:(أَنْ يَغُلَّ) من غَلَّ مبنيا للفاعل والمعنى: أنه لا يمكن ذلك منه، لأن الغلول معصية والنبي ﷺ معصوم من المعاصي. وقرأ ابن مسعود وباقي السبعة :(أَنْ يُغَلَّ) بضم الياء وفتح الغين مبنيا للمفعول، وحجتهم في ذلك أنه محمول على النفي عن أصحاب النبي، أن يخونوه في المغانم، وفيه معنى النهي عن فعل ذلك[74].

وقرأ ابن مسعود قوله تعالى:﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ ﴾[75]، وَلْيُجْرِمَنَّكُمْ بضم الياء، وجرم يجري مجرى كسب "في تعديته إلى مفعول واحد واثنين، كقول: جرم ذنبا، نحو: كسبه وجرمته ذنبا نحو: كسبته إياه ويقال: أجرمته ذنبا على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين كقولهم: أكسبته ذنبا وعليه جاءت قراءة ابن مسعود [76].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [77]. قرأ الجمهور:(وَحَزَنًا) بفتح الحاء والزاي وهي لغة قريش، وقرأها حمزة والكسائي وخلف وهؤلاء أصحاب عبد الله بضم الحاء وإسكان الزاي، "وكأن الحُزْنَ الاسم والغم وما أشبهه، "وكأن الحَزَنَ" مصدر وهما بمنزلة العُدْم والعَدَم[78].

وقراءته:﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [79]، الياء المضمومة، وقرأ الأعمش وطلحة وزيد بن علي بخلاف عمر وابن عباس والحسن

ومجاهد والجحدري وأهل مكة وجمهور السبعة الذين قرءوا:﴿عاليَهم﴾ بفتح الياء،بالنصب على الحال وقرأ الأعمش وابن مسعود: وعاليتهم.[80]

وقرأ قوله تعالى:﴿ **إنها ترْمي بشَرَرٍ كَالقَصْرِ** ﴾ [81]، بضم القاف والصاد كأنه مقصور من القصور بخلاف الجمهور الذين قرءوا:" كالْقَصْرِ" بفتح القاف وإسكان الصاد وبخلاف ابن عباس وابن جبير ومجاهد والحسن وابن مقسم بفتح القاف والصاد وابن جبير والحسن أيضا " كَالقِصَرِ" بكسر القاف وفتح الصاد[82].

وفي قوله تعالى:﴿ **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**﴾ [83].قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بفتح الباء على خطاب الواحد، وقرأ ابن مسعود:"لَتَرْكَبَنَ" كذلك وقرأ الباقون بضمها على خطاب الجمع[84].

هذا ما وقفت عليه من أمثلة إحلال الضم مكان الفتح في قراءات ابن مسعود، لكن إيثار قبيلة هذيل للكسر مكان الفتح أكثر ذيوعا وانتشارا في إيثارها للضم الذي يتم غالبا في البيئات الموغلة في البداوة، فإذا كان الكسر من أصوات اللين الذي يفوقه الفتح خفة وسهولة فإنه يلي الفتح في السهولة، وأن انتشار الكسر وذيوعه يكون في البيئات التي لا توغل في البداوة. وبالرغم من كل هذا فإن نطق بعض الألفاظ بالكسر دون الفتح لا يسود عند الهذليين جميعهم وإن بعضهم يؤثر الفتح على الكسر، وهم من الهذليين الذين في بطون هذيل القريبين من قريش، وهذا مما يجعل هذيلا حلقة وسطى بين أهل المدر من الحجازيين، وبين البدو الموغلين في البداوة من الأعراب الضاربة بجيرانهم في وسط الجزيرة العربية[85].

ومن مظاهر الكسر في قراءة ابن مسعود ما جاء في قوله تعالى:﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الكِتَـــبِ مَا إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ** ﴾[86].قرأ ابن مسعود والأشهب العقيلي وابن وثاب" تِيمَنْهُ " بتاء مكسورة و ياء ساكنة بعدها[87] وهو من باب توافق الحركات مع حروف المد فالكسرة تناسبها الياء.

وفي قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمْ النِسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا**﴾[88].نجد أن الجمهور يقرؤون:(مِنَ الْغَائِطِ) وقرأ عبد الله بن مسعود:(مِن الغيط) بياء ساكنة من غير ألف، وفيه وجهان؛ وجه أنه مصدر يغوط، وكان القياس غوطا فقلبت الواو ياء وأسكنت وانفتح ما قبلها لخفتها، وآخر أنه أراد الغيط فخففت مثل سيد وبيت أصله فيعل[89]، وقرأ ابن مسعود:"غيط"من غير ال التعريف[90].

وفي قوله تعالى:﴿**خَرُّوا سُجَّدًا و بُكِيا** ﴾ [91] قرأ جمهور القراء" بُكِيَا " بضم الياء، وقرأ عبد الله و يحيي والأعمش وحمزة والكسائي بكسر الياء اتباعا لحركة الكاف، كما كسر كل من حفص وحمزة والكسائـــي أوائل (عتيـــا، جثـــيا، بـــكيا،صـــليا) وحجتهم أنها أي هذه الأسماء جمع لـــ (عات،جات، باك وصال) جمع على فعول فأصل الثاني منها الضم لكن كُسِر لتصبح الياء التي بعده التي أصلها واو في (عتي وجثي)لأن الياء الساكنة لا يكون قبلها ضمة فلما كسر الثاني أتبع كَسْرَتَه كسر الأول،فكسر للإتباع ليعمل اللسان فيه عملا واحدا[92].

وفي قوله تعالى:﴿ **وقَالَ لأُوتِيَنَّ مَالًا و وَلَدًا** ﴾ [93] قرأ الجمهور:(وَلَدًا) وقرأ ابن مسعود ويحي بن يعمر بكسر الواو وسكون اللام "وِلْدًا " وهي لغة كلغة الضم[94].

وفي قوله تعالى:﴿ وأَنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وانْظُر إلىَ إلَهِكَ الذي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[95] .قرأ الجمهور: ظَلْتَ بظاء مفتوحة ولام ساكنة، والفتح لغة كما أنَّ الكسر لغة، وقرأ ابن مسعود وقتادة والأعمش بكسر الظاء، والأصل ظلت بكسر اللام الأولى فحذفت ونقلت كسرتها إلى الظاء[96].

وفي قوله تعالى:﴿ وَجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا ﴾ [97]قرأها عبد الله وابن وثاب والأعمش وطلحة وأبان بن تغلب "وَعليًا " وذلك بقلب الواو ياء وكسر العين واللام وأصله فعول لكنهم كسروا العين اتباعا لحركة اللام[98].

وفي قوله تعالى:﴿ والفَجْرِ ولَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَفْعِ وَالوَتْرِ ﴾ [99]. قرأ الجمهور:(والوَتْرِ) بفتح الواو، بينما قرأ أصحاب عبد الله، وحمزة والكسائي، وخلف إضافة إلى الأعمش والحسن البصري، بكسر الواو، والفتح لغة أهل الحجاز والكسر لغة بني تميم[100].

وفي قوله تعالى:﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاح ﴾ [101]. قرأ جمهور القراء:(تَذْرُوهُ) وهو من ذرت الريح تذروه ذَرْوًا أي فرقت، وقرأ ابن مسعود:(تَذْرِيهِ) من الفعل الرباعي أذْرَى وكقولك أذريته عن فرسه إذا ألقيته عنها[102]

وفي قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [103]. قرأها عبد الله:(ولا تأمَّمُوا) من"أمَّمَتْ " أي قصدت[104]وذلك لمناسبة الهمزة الفتحة وكذا الانسجام الصوتي الحاصل بين الفتح والألف.

وفي قوله تعالى:﴿ وإنْ خِفْتُمْ عِيلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إنْ شَاءَ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [105] قرأ عبد الله وعلقمة وأصحابه: "عَائِلَة " وهو مصدر

كالعاقبة أرفعت لمحذوف أي حالا عائلة[106]كما أن قراءة الجمهور كانت بكسر حرف العين مع ياء بعده أما قراءة ابن مسعود فكانت بفتح العين مع ألف مد بعدها وهمزة مما ينجم عنه انسجام صوتي. ويمكن أن تتحول الياء الساكنة والواو الساكنة إلى صوت لين طويل هو ياء المد ملاءمة لصوت اللين القصير الذي هو من جنسه(وهو الكسرة) وهذه الظاهرة نجدها في قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ عِيسَى بنُ مَرْيَمْ قَوْلُ الحَقِّ** ﴾[107] قرأ الجمهور برفع اللام وفتح القاف وإسكان الواو، وقرأ ابن مسعود والأعمش" قَالُ " بألف ورفع اللام، والقال اسم للمصدر مثل القيل [108] كما قرأ أيضا " قالُ الله الحق " والقول والقالُ" في معنى واحد والحق في هذا الموضع يراد به الله [109].

وفي موضع آخر من مواضع الانسجام الصوتي الناجم عن توافق الحركات القصيرة مع حروف المد ما جاء في قوله تعالى:﴿ **يَأتُونَ رِجَالاً وعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأتِينَ**﴾[110] ويأتين محمول على المعنى والمعنى:وركبانا على ضوامر يأتين ،فهو صفة لضامر، وقرأ عبد الله وأصحابه وابن أبي عبلة يأتون[111] يضم التاء وواو مد موافقة لحركة الضمة.

وكل ما يمكن أن يقال عن الكسرة والياء قليل مقارنة وقياسا إلى الفتحة والألف، فالفعل سأل يسأل، وما شاكله؛ قبيلة هذيل تسهل همزته فتصير ألفا بمعنى صوت لين طويل؛ وذلك لأن قبلها صوت لين قصير يجانسها،فمن اليسير مدّ الصوت به دون جهد.فهذا حسان بن ثابت يهجو هذيلا فيقول:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ظلت هذيل بما سالت ولم تصب
(112)

فحسان بن ثابت وضع سال موضع سأل، فهو لم يكن قد فعل هذا رغبة في أن يستقيم له الوزن و إنما فعله ليحاكي به هذيلا في لهجتها أثناء هجاءه إياها، كما يحتمل أن يكون قول حسان دليلا على وجود التسهيل في بعض البيئات الحجازية الأخرى، ففي قوله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [113].قرأ الجمهور:(سأل) بالهمز أي دعا داع وقرأ أُبَيٌّ وعبد الله: سَالَ سَالٍ مثل مال وذلك بإلقاء صورة الهمز وهي الياء من الخط تخفيفا [114] .

الإبـــدال: من مظاهر التفرد الصوتي عند عبد الله بن مسعود في قراءاته القرآنية العديدة ظاهرة الإبدال، ففي قوله تعالى:﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾[115] قرأها جمهور القراء بالباء وذلك ظاهر لأن شرب الخمر والقمار ذنبهما من الكبائر أمَّا حمزة والكسائي فقد قرءا" إِثْم " كثير بالثَّاء ووصف الإثم بالكثرة وهو جيد في المعنى لأن الكثرة كِبَرُ والكثير كَبِير، وفي مصحف عبد الله وقراءته:(وَإِثْمُهُمَا أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) بالثاء[116] .ويحتمل رسمها دون تنقيط أو تشكيل كلتا القراءتين، مما أدى إلى اختلاف لفظهما ومعناهم، كما أن الكثرة باعتبار الآثمين من الشاربين والمقامرين، ولأن النبي ﷺ لعن أناسا بسبب الخمر وأما الكبير فلوصف الإثم بالعظم، فيقال كبائر [117] .

وفي قوله تعالى:﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـنِ صَوْمًا ﴾ [118] قرأ زيد بن علي " صيَّامًا " وفسر صوما بالإمساك عن الكلام ، وفي مصحف عبد الله " صَمْتًا " فقد أبدل ابن مسعود"الواو"" ميما " و الميم تاء على أساس تفسير معنى الاقتناع و معنى الصيام ، قال السدي وابن زيد كانت سنة الصيام الإمساك عن الأكل و الكلام [119] .

وفي قوله تعالى: ﴿**فقبضتُ قَبْضَةً من أثرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها** ﴾ [120] قرأ الجمهور :فَقَبَضْتُ قَبْضَةً بالضاد المعجمة فيهما، والقبض بجميع الكف، وقرأ أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وابن الزبير والحسن :" فقبصْتُ قَبْصَةً " بالصاد فيهما [121] قال أبو الفتح: (القبض بالضاد المعجمة كلها، وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع...وهذا مما قدمت إليك من تقارب الألفاظ لتقارب المعاني وذلك أنَّ الضَّاد لتفشيها واستطالة مخرجها جعلت عبارة عن الأكثر والصاد لصفتها وانحصار مخرجها وضيق محلها جعلت عبارة عن الأقل)[122] كما أن الصاد والضاد متقاربان في مخرجيهما إذ مخرج الصاد ما بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا ومخرج الضاد قريب من ذلك [123] وهما متفقان في بعض الصفات فكلاهما حرف رخو، ثم هما من حروف الإطباق ومن حروف الاستعلاء ولا يختلفان إلا في أن الصاد مهموسة و الضاد مجهورة [124].

وفي قوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوج ومَاجُوج وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَب يَنْسِلُون﴾[125] قرأها جمهور القراءجَدَبٍبالحاء المفتوحة والباء المنونة، بينما قرأها ابن مسعود وابن عباس "من كُلِّ جَدَثٍ"بالثاء المثلثة و الجيم وهو بمعنى الحدب ، والجدث هو القبر بلغة أهل الحجاز والجدف بالفاء لبني تميم،يقال: أحدثْتُ له جَدَثًا ولا يقال أجْدفْتُ ،فهذا دليل على أن الفاء في (جدف) بدل من الثاء في (جدث).[126]

وفي قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا**﴾ [127] قرأ ابن مسعود "يلق أيامًا "جمع يوم أي شدائد، يقال: يوم ذو أيام لليوم العصيب[128]وفي هذه القراءة وقع إبدال الثاء بالياء.

وفي قوله تعالى:﴿ **فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ [129] .قرأ ابن مسعود:"فَلَكَزَهُ" باللام بدلاً من الواو، والوكزُ بالواو الدفع بأطراف الأصابع و قيل بجمع الكف [130] وهذا أثر من آثار لهجة هذيل في إبدال اللام من الواو في بعض ألفاظها ، ويعود سبب إيثار اللام عن الواو كما يقول إبراهيم أنيس:(أنه بالرغم من اتحاد اللام مع الواو في كثير من الصفات كالجهر والإستفالة والتوسط بين الشدة والرخاوة ، إلا أن نسبة وضوحها الصوتي أقوى من الواو وقد عدَّها علماء الأصوات من أوضح الأصوات الساكنة في السمع)[131]كما قرأ بن مسعود " فَنَكَزَهُ " بالنون بدلا من الواو و هي في وكز[132] .

وفي قوله تعالى:﴿ **وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ**﴾ [133] قرأها ابن مسعود بالعين بدل الحاء، وهذا من قبيل ما يسميه اللغويون الفحفحة ،وتلك لغة هذيل وهي نطق صوت الحاء عينا، وتُعَدُّ من العيوب الخاصة التي لحقت ببعض القبائل العربية كالكشكشة في ربيعة ومضر، والعنعنة في قبيلة قيس وتميم، والعجعجة في قضاعة وغيرها[134] ولعلَّ السر في إبدال هذيل أو بعض بطونها للحاء عينا هو أن العين صوت مجهور والحاء صوت مهموس، والمجهور قد يناسب بيئة فيها بداوة كهذيل أكثر ممَّا يلائمها الصوت المهموس، ثم إن في الحاء رخاوة، وفي العَين شيء من الشدة إن هي ليست بالرخوة ولا الشدة [135]

وفي قوله تعالى:﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾[136] قرأ الجمهور وطلحٍ بالحاء، وقرأ علي وعبد الله بالعين[137] وهذا في باب إبدال الحاء عينا، وقد سبق القول في هذا في الآية السابقة.

وقد تعكس هذيلا أحيانا، فتقلب العين المجهورة حاء مهموسة، وذلك عندما يليها حرف مهموس كالثاء نظرا لتجاور الحرفين، وقد قرأ ابن مسعود قوله تعالى: ﴿ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾[138] بحثر بالحاء وقد لاحظ بعض الباحثين هذه الظاهرة وأسموها الفحفحة[(139)] .

وفي قوله تعالى:﴿ وَإِنْ يَكَادُ الذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾[140] قرأ الجمهور:

(لَيُزْلِقُونك) بضم الياء من أزلقت، وقرأ أهل المدينة:(لَيَزْلقونك) بفتح الياء من زَلَقَتْ ، وقرأ كل من ابن عباس والأعمش وعيسى وابن مسعود:(ليزهقونك) بالهاء بدلا من اللام، أي: ليلقونك بأبصارهم كما روى النخعي أنَّ في قراءة ابن مسعود" لينقذونك " [(141)].

كما نجد إبدالا آخر في قوله تعالى:﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[142] قرأ عبد الله:" قافورًا" بالقاف بدل الكاف، وهما كثيرا ما يتعاقبان، لأنهما متقاربان في المخرج تقاربا كبيرا إذ مخرج القاف في تعبير اللغويين وعلماء القراءات هو الجزء الأول من أقصى اللسان، ويليه مخرج الكاف مباشرة [(143)] ويرى الخليل أن القاف والكاف لهويتان[(144)]بينما يرى المحدثون أن القاف الحالي صوت شديد مهموس[(145)]والكاف ليست لهوية بخلاف الخليل وبالتالي فلا فرق بين الحرفين إلاّ في كون القاف أعمق في مخرجها قليلا عن الكاف[146] وفي آية

أخرى أبدل الكاف قافا للأسباب ذاتها ففي قوله تعالى:﴿**وإذَا السَّمَاء كشطت**﴾[147] قرأ ابن مسعود:"قشطت" بالقاف واعتقاب القاف و الكاف كثير [148].

وفي قوله تعالى:﴿**فأمَّا اليَتيم فلا تقهر**﴾[149] قرأها الجمهور بالقاف، وفي قراءة ابن مسعود وفي مصحفه :"فلا تكهر"بالكاف" بدل القاف؛ وهو أن يعبس في وجهه، وفلان ذوكهرورة:عابس الوجه[150] وفي هذه الحالة نلحظ عكس الظاهرة السابقة وهي إبدال القاف كافا.وتؤكد المراجع أن القهر والكهر واحد، ويرجع سبب الإبدال-هنا-إلى الصفات المتقاربة والمشتركة بين القاف والكـــاف، إضافة إلى أن الكاف والهاء التالية لها تشتركان في صفة الهمس، وأنهما منخفضتان أي:أنهما من حروف الهمس والاستفالة، ويقول ابن جني في هذا الموضع أن القاف ليست بدلا من الكاف لأنهما لغتان كالكهر والقهر[151]

كما يحتوي مصحف ابن مسعود على نوع آخر من الإبدال في حروف أخرى، ففي قوله تعالى:﴿ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرون**﴾[152] قرأ الجمهور بالدال في"فَشَرِّدْ"، وقرأ ابن مسعود:"فَشَرِّذْ" بالذال المعجمة في موضع الدال، بمعنى ففرِّق.وقد نقل صاحب كتاب لغة هذيل أن جميع حروف الدَّال الموجودة في سورة القمر قرأها ابن مسعود ذالا في جميع آيات السورة .وعلى سبيل المثال أورد الكاتب نفسه قوله تعالى:﴿فَهل مِن مذكر ﴾[153] بدل من" مدكر ".

ويعود سبب هذه الظاهرة الصوتية المتمثلة في إبدال الدَّال ذالاً إلى أنَّ مخرج الدال من بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ومخرج الذال من بين طرف اللسان وطرف الثنايا العليا،إضافة إلى بعض الصفـــات المشتركـــة كالجهر،لكنهما يختلفان في أن الـــدال حرف شديد انفجاري والذال حرف رخو

واحتكاكي وبالتالي فإن هناك قابلية إحلال حرف آخر، وعليه قرأ ابن مسعود قول الله تعالى السابق[154].

واختلف في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾[155] قرأها الجمهور بالهمز وشد القاف، أمَّا عبد الله بن مسعود فقد أبدل الهمز واوا وخفَّفَ القاف.وفي رواية أخرى شد القاف على الأصل ، لأنه من الوقت[156].

أما في قوله تعالى:﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[157] قرأ كل من عبد الله بن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب وابن كثير"بظنين" بالظاء المشالة على وزن "فعيل" بمعنى: مفعول بمنهم من الظنة وهي التهمة، وهذا نظير الوصف السابق بأمين وقرأ باقي السبعة بالضاد من الضن أي:البخل[158] وقد رجح الألوسي قراءة ابن مسعود بالظاء فيقول:(ورجحت هذه القراءة،لأنها أنسب بالمقام لاتهام الكفرة له ﷺ ونفي التهمة الأولى)[159]

كما قرأ ابن مسعود قوله تعالى:﴿ الذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[160] لاهون باللام فأبدل السين لاما وبعد قلبها أصبحت تفسيرا كما قال ابن عباس[161].

وقد لجأ ابن مسعود في قليل من الأحيان إلى إبدال أو حذف بعض الحروف من بعض الكلمات تيسيرا للنطق بها،ففي قوله تعالى:﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾[162] نجد أن ابن مسعود قرأها:"أُحْسَيْتُمْ "بمعنى أَحَسَسْتُمْ، فحذف السين في المرة الأولى وقلبها إلى ياء حتى يسهل النطق بها، وقرأها أيضا:أَحَسْتُمْ دون ياء فحذف عين الكلمة وهذا شذوذ[163].

وهناك ظاهرة أخرى في الإبدال المكاني، وهو إبدال حرف مكان حرف، بحيث يحل فيه كل من الحرفين مكان الآخر وهذا النوع من الإبدال يسمى القلب، وهو من المظاهر الصوتية التي نجدها في بعض اللهجات العربية، كما نجد أن ابن سيدة قد خصص فصلا كاملا عنونه بالمقلوب جمع فيه كثيرا من هذه الألفاظ، ولم ينسبها إلى قبائل معينة [164]قرأ ابن مسعودِ قوله تعالى:﴿ **وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[165] من كل فج معيق"، يقال بئر بعيدة العمق والمعق[166].

كما قرأ قوله تعالى:﴿ **وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ**﴾[167] قرأها:"حَرَجٌ "وذلك بتقديم الراء على الجيم بواسطة القلب[168].

ومما **يلاحظ في ظاهرة الاستبدال في قراءات ابن مسعود أنها ظواهر صوتية تقع بين الحروف أو الأصوات المتقاربة في المخارج أو الحروف المشتركة في كثير أو قليل من الصفات، كما أن هذه الظاهرة الصوتية مردها إلى قبيلته هذيل التي أثرت فيه.**

ويمكن القول إن هذه الظاهرة الصوتية والظواهر الأخرى من إبدال، وإمالة وإدغام وإظهار، وفتح، وضم، وكسر، لأوائل الحروف الأثر البارز في هذه الدراسة؛ إذ نجد في مواضع كثيرة ومتنوعة كيف يخالف ابن مسعود جمهور القراء، ويشذ عنهم – بالتالي– بقراءته؛ إما لكون قراءته متأثرة بلغة هذيل؛ قبيلته، كما حدث في:"حتى"– على سبيل المثال– حينما قرأها ابن مسعود بالعين "عتى "، أو كون ابن مسعود يعيد القراءة إلى الأصل اللغوي لها، كما في حالتي: الإظهار والإدغام، وقد جاءت قراءته موافقة في بعض الأحيان لقواعد اللغة العربية.

الهوامش :

(1) ينظر،بلقاسم دفة،القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية،العدد 2،جوان 2001،ص37.

(2) ينظر، المرجع السابق، ص37.

(3) عبد الجواد الطيب،من لغات العرب،لغة هذيل،(د.ت)،(د.ط)144.

(4) المصدر نفسه،ص145.

(5) المصدر نفسه،ص145.

(6) سورة البقرة، الآية158.

(7) سورة البقرة، الآية184

(8) ينظر،الفراء،معاني القرءان،تح إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2002،/711. والزمخشري،الكشاف عن حقائق تنزيل،تح،مصطفى حسين أحمد،دار الكتاب بي،بيروت،ط1،3،1987/209،أبو حيان،تفسير البحر المحيط،دار الفكر لطباعة،ط1،3،1978/458،الدمياطي،إتحا ف فضلاء البشر،تح،شعبان محمد سماعيل،عالم الكتب،بيروت،ط1/1987 1،/422.

9 سورة البقرة، الآية 222.

(10) الفراء، معاني القرآن، تح،إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط2002/1 104/1.الزمخشري، تفسير الكشاف، تح،مصطفى حسين أحمد،دار الكتاب العربي،بيروت،ط3/ 1987 ،265/1.القيسي،كتاب

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها،تح،محي الدين رمضان،مؤسسة الرسالة،ط5،1997،1/293،294.البحر المحيط،1/168.

(11) سورة البقرة ،الآية 233.

(12) ينظر،الكشاف1/280،البحر المحيط 1/215،الإتحاف،1/440،ابن زنجلة،حجة القراءات،تح،سعيد الأفغاني،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر بيروت،ط4،1984،ص136،النحاس،إعراب القرءان،تح،زهير غازي زاهد،مكتبة النهضة العربية،القاهرة،ط1،2،1985/317.

(13) سورة البقرة ،الآية 280.

(14) البحر المحيط،1/341.

(15) سورة آل عمران ،الآية 39.

(16) معاني القرءان للفراء،1/150.ابن جني،المحتسب،تح،علي النجدي وآخرين،الكتاب التاسع،القاهرة،1969 1/161.الكشاف،1/359.البحر المحيط،1/447.

(17) سورة آل عمران، ،الآية 121.

(18) معاني القرآن الفراء1 /164. الكشاف 1/409. البحر المحيط3 /46.

(19) سورة النساء،،الآية 1.

20 ينظر، الكشاف 1 / 462. البحر المحيط 3 /157، والإتحاف 1 /501.

21 سورة النساء، الآية 92 .(21)

22 ينظر، البحر المحيط،3/323،324 (22)

(23) سورة الإنعام، الآية125.

(24) ينظر، الكشاف، 2/64.

[25] سورة الأعراف،،الآية 38.

[26] ينظر،البحر المحيط،296/4،العكبري،إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرءان،علق عليه نجيب الماجدي،المكتبة العصرية بيروت،ط1،2002،ص244،الإتحاف،84/2.

[27] سورة الحج،،الآية 36.

[28] ينظر،ابن منظور،لسان العرب، دار المعارف،القاهرة،مادة صفصف.

[29] ينظر، معاني القرآن للفراء 2 / 132 ،المحتسب 2 / 81 ،الكشاف 3 /158،البحر المحيط 6 /369،إملاء ما من به الرحمان ص389.

[30] سورة الفرقان،الآية62

[31] ينظر، معاني القرءان للفراء 2 /168 ، الكشف 2 /147 ، الكشاف 3 /290 ، ابن الجزري،النشر في القراءات العشر،تق،محمد علي الضباع ،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1982/3 ، 2 /251.

[32] سورة النمل،الآية 66.

[33] ينظر، المحتسب، 2 /142،143، البحر المحيط 7 /92 ، الإتحاف 2 / 333.

[34] سورة المنافقين ،الآية 10.

[35] البحر المحيط 8 /275.

[36] سورة الليل ،الآية 14.

[37] ينظر، معاني القرءان للفراء، 161/3.

[38] سورة البقرة، الآية40.

[39] ينظر،معاني القرءان للفراء،32/1.

(40) سورة البقرة،الآية 163.

(41) ينظر،معاني القرءان للفراء،32/1،البحر المحيط،243/1.

(42) سورة البقرة،الآية70.

(43)ينظر،البحر المحيط،254/1،إملاءمامنبه

حمان،ص44،الإتحاف،398/1.(44)

سورة يوسف،الآية 110.

(45) ينظر،معاني القرءان للفراء،366/1،البحر

المحيط،354/5،النشر،222/2.

(46) سورة المؤمنين،الآية 101.

(47) ينظر،الكشاف،203/3،البحر المحيط،421/6.

(48) سورة النور،الآية 1.

(49) ينظر،الكشف133/2،البحر المحيط،427/6،النشر،247/2.

(50) سورة القصص،الآية 48.

(51 ينظر،البحر المحيط،124/7.

(52) سورة الصافات،الآية1،2،3.

53) معاني القرءان للفراء،266/2،الكشف،150/1،الكشاف،34/4،البحر

المحيط،352/7.

54)سورة العاديات،الآية 5.

55) معاني القرءان للفراء،175/2،المحتسب،370/2،الكشاف،787/4.

56) ينظر،الزركشي،الإتقان في علوم القرآن،تح،محمد أبو الفضل

إبراهيم،المكتبة العصرية،بيروت،1988 91/1.

57) ينظر،ابن الجزري ،غاية النهاية في طبقات القراء ،نشره،برجستراسر،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1982/3 ، 459/1.

58) المرجع نفسه،459/1،احمد محمود الشافعي،قراءة الكسائي،دار الكتب العلمية،بيروت ط1، 2002،ص10.

59 سورة البقرة، الآية 132.

(60) ينظر،الإتحاف،418/1،صبري المتولي،التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم،دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة،1998،ص56.

61) سورة طه،الآية 01.

62) ينظر،النشر،51/2،الإتحاف،243/2.

63) سورة ق،الآية 6.

64) ينظر،الكشف ،172/2،النشر،255/2.

65) ينظر،عبد الجواد الطيب، لغات العرب،لغة هذيل،(د.ت)ص30، محمد خان،اللهجات العربية والقراءات القرآنية،دراسة في بحر المحيط ،دار الفجر،القاهرة،ط2002/2 ص85.

66) سورة التوبة،الآية 123.

67) ينظر،البحر المحيط 115/5.

68) ينظر،لغة هذيل،ص32.

69) سورة آل عمران،الآية 140.

70) ابن سيدة، المخصص تح،لجنة إحياء التراث العربي،دار الأمانة الجديدة بيروت.75/5.

71) سورة آل عمران،الآية 151.

72) ينظر، الإتحاف، 490/1.

73) سورة آل عمران،الآية 160.

74) ينظر،معاني القرءان للفراء،172/1،الكشف،363/1،البحر المحيط،101/3.

75) سورة المائدة،الآية 2.

76) معاني القرءان للفراء،204/1، المحتسب، 206/1 ،الكشاف، 602/1.

77) سورة ق،الآية 8.

78) ينظر، معاني القرءان للفراء 2 /195، الكشاف 3 /394 ، البحر المحيط 7 /105، النشر 2 /256 .

79) سورة الإنسان،الآية 21.

80) ينظر، البحر المحيط، 399/8، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،تح، عبد العال السيد إبراهيم، مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية قطر،ط15،1991،249/1.

81) سورة المرسلات،الآية 20.

82) ينظر، البحر المحيط، 407/8.

83) سورة الانشقاق،الآية 19.

84) ينظر،معاني القرءان للفراء 140/3.

85) ينظر،لغة هذيل،ص35.

86) سورة آل عمران،الآية 75.

87) ينظر،البحر المحيط،499/2.

88) سورة النساء،الآية 43.

89) ينظر، البحر المحيط3 /258.

90) ينظر،المحتسب،1/190.

91) سورة مريم،الآية 58.

92) ينظر، الكشف،2/84،85، البحر المحيط 3/200.

93) سورة مريم،الآية 77.

94) ينظر،البحر المحيط،6/213.

95) سورة طه،الآية 97.

96) معاني القرءان للفراء،2/105.

97) سورة النمل،الآية 14.

98) ينظر،الكشاف،3/352،البحر المحيط،7/58.

99) سورة الفجر،الآية 1،2،3.

100) ينظر،معاني القرءان للفراء،3/149،الكشف،2/273،النشر،2/299.

101) سورة الكهف،الآية 45.

102) ينظر،معاني القرآن للفراء،2/68،69،البحر المحيط،6/133،إملاء ما من به الرحمن،ص353.

103) سورة البقرة،الآية 267.

104) ينظر،البحر المحيط،2/318.

105) سورة التوبة،الآية 22.

106) المحتسب1/287، الكشاف 2/262، البحر المحيط 5/ 28.

107) سورة مريم،الآية 34.

108) ينظر،البحر المحيط،6/189.

109) معاني القرآن للفراء،86/2.

110) سورة الحج،الآية 27.

111) معاني القرآن للفراء، 130/2،البحر المحيط، 364/6.

112) المخصص، لابن سيدة، 218/12.

113) سورة المعارج،الآية 1.

114) المحرر الوجيز،87/15،البحر المحيط،332/8،النشر،291/2.

سورة البقرة، الآية 115.219)

116)الكشف،291/1،حجة القراءات،ص132،133،الأصفهاني،الغاية في القراءات العشر،تح،محمد غياث الجنبار،دار الشواف لرياض،ط2،1990،ص196،محمد سالم،المهذب في القراءات العشر وتوجيهها،المكتبة الأزهرية مصر،1،1979،91/1.

117) ينظر،الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرءان،مكتبة الحلبي القاهرة،ط3،1968، 360/2،الرازي،مفاتيح الغيب،مكتبة الإيمان القاهرة،ط1،1992، 321/3،القرطبي،الجامع لأحكام القرءان،مكتبة الرياض،60/3،ابن أبي مريم،الكتاب الموضح في وجوه القراءات السبع وعللها،تح،عمر حمدان الكبيسي،ط1 ،1993، 324/1 ،محيسن محمد سالم، شرح طيبة النشر في القراءات العشر ،دار الجيل،بيروت،ط1/1997 79/2.

118)سورة مريم،الآية 26.

119) ينظر، البحر المحيط ، 6 /185.

120) سورة طه،الآية 96.

121ينظر،اللغوي ،الإبدال، تح،عز الدين التنوحي ، المجمع العلمي العربي ، دمشق ، 1961 ، ص 124 ، أبو حيان ، تذكرة النحاة ، تح ،عفيف عبد الرحمن ،مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، ط1، 1986 ، ص 28 .

122) ينظر، المحتسب 2 /55 ، البحر المحيط 6 /273.

123)إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية،مكتبة الأنجلومصرية،القاهرة،ط1979/5 ،ص49.

124) ينظر،سيبويه، الكتاب،تح،عبد السلام هارون،مكتبة لخانجي،القاهرة،4،1977/434 ،المبرد، المقتضب،تح،محمد عبد الخالق عضيمة،عالم الكتب بيروت،(د.ت) 193/1 .

سورة الأنبياء، الآية 125.96)

المحتسب 2 /66 الكشاف، 3 /135، البحر المحيط 6 /339، الإملاء ص126.383)

127) سورة الفرقان،الآية 68.

128)الكشاف 3 /294 ، البحر المحيط 6 /515.

129) سورة القصص،الآية 15.

130)معاني القرآن للفراء 2 /196 ، الكشاف 3 /398 ، البحر المحيط 7 /109.

131) ينظر، الأصوات اللغوية ،ص53.

132) ينظر،معاني القرآن للفراء 2 /196 ، البحر المحيط 7 /109.

133) سورة الصافات ،الآية 178.

134 ينظر،بلقاسم دفة، في النحو العربي، ص5 ،و ينظر، القراءات القرآنية وصلتها باللهجات العربية ،مجلة الآداب،جامعة تلمسان،العدد 2 ، ص 24 .

135) لغة هذيل ص 110،111 ،السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،تح،محمد احمد وجاد الولي،مكتبة الحلبي،القاهرة 222/1.

136) سورة الواقعة ،الآية 29.

137) الكشاف 4 /461 ، البحر المحيط 8 /206.

138) سورة العاديات،الآية 9.

139) في اللهجات العربية ، ص97 ، ابن السكيت، كتاب الإبدال،تح،محمد شرف،المطبعة الأميرية القاهرة،1978 ،ص86 ،لسان العرب (بحثر- بعثر).

140) سورة القلم،الآية 51.

141) ينظر، معاني القرءان للفراء 3 /76، المحرر الوجيز 56/15، البحر المحيط 8 /317.

142) سورة الإنسان،الآية 5.

143) الكتاب 433/4 ،البحر المحيط 6 / 395،لغة هذيل ص122.

144الفراهدي ،كتاب العين ،تح ،مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،مؤسسة دار الهجرة ،إيران،ط 2، 1409 هـ ، 58/1 .

حجازي محمود فهمي، المدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للنشر، ط 2، 1978، ص 145.54)

المصدر السابق، ص146.55)

147) سورة التكوير،الآية 11.

148) معاني القرآن للفراء 3 / 130 ، الكشاف 4 / 709 ، البحر المحيط 8 /434 ، القرطبي19/235.

149) سورة الضحى،الآية 9.

150) ينظر، معاني القرآن للفراء 3 / 164 ، الكشاف 4 /768 ، البحر المحيط 8 /486.

151) ينظر، ابن جني،سر صناعة الأعراب،تح،مصطفى السقا ومحمد الزفاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين شركة مكتبة ومطبعة الحلبي بمصر ، القاهرة ، ط 1، 278/1 ، لغة هذيل ، ص123 ،

152) سورة الأنفال،الآية 57.

153) ينظر،الكشاف230/2 ،البحر المحيط509/8 ،الإملاء،ص266 الإتحاف،81/2.

154 لغة هذيل،ص124 .

155) سورة المرسلات ،الآية 11.

156) ينظر،معاني القرآن للفراء3 /113، البحر المحيط 8 /405، النشر 2 /296، الإتحاف 2 /580.

157) سورة التكوير ،الآية 24.

158) ينظر،معاني القرءان للفراء 3 /131، الكشاف 4 /713،البحر المحيط 8 /435، الإتحاف 2 /592.

159 آلوسي محمود شكري ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم و السبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 61/30 .

160) سورة الماعون،الآية 5.

161) ينظر، الكشاف 4 /805 ، معاني القرآن للفراء 3 /183.

162) سورة النساء،الآية 6.

163)ينظر، معاني القرآن للفراء 1 /180 ، الكشاف 1 /474، البحر المحيط 3 /172.

164) المخصص لابن سيدة 14 /27.

165) سورة الحج،الآية 27.

166)الكشاف 3 /152 ، البحر المحيط 6 /364.

167) سورة الأنعام،الآية 138.

168) ينظر، الكشاف، 71/2.